

المرأة والتغير الاجتماعي

أ/ طيبي أمال

قسم علم الاجتماع

مقدمة:

المرأة... المرأة... المرأة، يستأثر باهتمامها القادة والمسؤولون ورجال الاجتماع والسياسة، نظرا لتعاظم أهميتها في المجتمع وازدياد المهام والمسؤوليات التي تقوم بها في أجهزة الدولة والمجتمع، فالمرأة نتيجة للظروف والمعطيات التي يشهدها المجتمع والتحديات المفروضة عليه أخذت تحتل دورين اجتماعيين متكاملين، هما دور ربة البيت ودور العاملة أو الموظفة خارج البيت، واحتلال المرأة لهذين الدورين المتكاملين قد سبب رفع مكانتها في المجتمع ومضاعفة الفعاليات والأنشطة التي تقوم بها وقد انعكس ذلك إيجابيا على وضعها في الدولة والمجتمع.

وهذا ما لفت إليها الطبقة المثقفة كعلماء مختلف الاختصاصات لدراسة هذا الكائن الفعال اللطيف الحنون الودود الذي يتقلد المهام يتممها بسلام دون أن يقول ما يؤلمه لان المرأة مقتنعة بمهام أسندت إليها مجبرة على أن تؤديها على أحسن وجه لضمان بقاء دورها الفعال الذي وجدت من أجله دون أن يفوتنا أنه هو المرأة العاكسة لها.

واتحدوا على أن يتعاون الجميع من أجل مساعدة هذه المرأة وإفساح المجال حتى تقوم بدورها كأم وأخت وزوجة في المجتمع، التعاون على حل المشكلات التي تواجهها والتصدي لها، والأخذ بيدها لتشارك في عملية البناء وإعادة البناء الاجتماعي التي يشهدها المجتمع.

وفي هذا الفصل بإذن الله سوف نتعرض على الجذور الاجتماعية المؤثرة في المرأة وأنشطتها وأثر ذلك في البناء الاجتماعي والفعاليات الاجتماعية التي تقوم بها، كما أننا سنخصص جزءا للفتاة الجزائرية والتنشئة الاجتماعية لها، ودورها في المجتمع الجزائري، ومحاولة تفسير واقعها الاجتماعي الذي عادة يكون سبب سعادتها أو تعاستها.

واقع المرأة في المجتمع الجزائري:

عن المجتمع الجزائري ننتمي إلى صنف المجتمعات التي تلجأ من خلال التنشئة الاجتماعية على حوافز الاحتياطات الخارجية، فيعمل المجتمع على ترسيخ في وعي كل فرد أعرافنا وقيمنا على حد أننا نطمئن على هذه الموانع المغروسة داخلنا، لأن اعتقادنا لها يفرض علينا تجسيدها من خلال سلوكيات ملحوظة ولا نعارضها ولا نتعرض لخرقها خوفا من العقوبات القانونية والاجتماعية، ولعل نصيب الفتاة في

مجتمعنا الجزائري أكبر من نصيب الولد في خضوعه للقيود والضغوط والمحظورات التي فرضها المجتمع عليها، وبالذات على أعضائها الجنسية، وإذا ما سألنا المجتمع عن سبب هذا التمييز الجنسي والتقييد الذي يفرض على الفتاة فإنه يسوق دوافع أخلاقية منها الشرف والفضيلة والعفة والطهارة حيث أن في "عالمنا العربي الإسلامي الذي تسوده سلطة الذكورية في مختلف صورها تصبح العفة مطابقة لمفهوم العذرية¹. وكل هذه الأفكار ترسخت في أذهان وعقول الناس حيث برغم كل العولمة والتطور ومازال لهذه المعتقدات تأثير كبير على حياة الناس وعادة ما تكون الفتاة أو المرأة ضحية هذه المعتقدات تحرم من الدراسة أو تعمل في أماكن بعيدة عن المنزل سواء كانت عزباء الأب والأخ الأكبر عادة ما يرفض أو حتى الأم، وإن كانت متزوجة فلدينا الزوج، أب الزوج وعادة الحماة، كل هذا يجعلها ضحية لمرتين، الأولى لأنها امرأة، والثانية لأنها تخضع للمجتمع الجزائري.

ومع تغير الزمان وتفتح العقول وتطور الدروب أصبح للمرأة نوع من الحرية في التعبير لكن هذا لم يأت بالسهل، إنما بعد ما كان الضحايا أكثر، وتحرر المرأة في الحقيقة ارتبط بالتغير الاجتماعي الذي طرأ في المجتمعات العربية بصفة عامة أو المجتمع الجزائري بصفة خاصة.

أ - مفهوم التغير الاجتماعي:

هو عملية اجتماعية يتم من خلالها تغير في بناء المجتمع أو وظائفه أو تنظيمه، ويتم ذلك خلال فترة معينة من الزمن باعتبار أن المجتمع كمجموعة معقدة من العلاقات الاجتماعية لا يبقى كما هو، إنه في حالة دائمة من الحركة والتعديل التي يتم في طبيعة ومضمون بناء المجموعات والنظم في العلاقات بين الناس والجماعات خلال تتابع الزمن بكونه ميدان الدراسة في التغير الاجتماعي ولذلك يجب أن نفكر في هذا التغيير على أنه عملية اضطرارية مستمرة، وهذا لا يعني أن درجة التغير الاجتماعي واحدة دائما². قد يكون هذا التغيير الاجتماعي سريع وقوي أو العكس أي بطيء أو بشكل متفاوت، تغير سريع في مجال معين يقابله تغير ببطء جدا في أنظمتها الأخرى، هذا ما يؤدي على اختلال في توازن المجتمع، ويصبح الفرد غير قادر للتكيف على التكيف مع هذا "التغيير الاجتماعي وما يترتب عليه من مشاكل يؤدي إلى نظرة خاصة هي أن كل انحراف يصيب المجتمع غنما يرجع على عدم تكيف الفرد أو الجماعة مع كل تعديل يحدث في معدات الحياة"³.

أسباب التغير الاجتماعي:

لاحظنا أن التغيير الاجتماعي مقصود من طرف أفراد المجتمع بغية تغيير نظام اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي.. الخ، وقد يكون هذا التغيير نحو الحسن أي التقدم أو يكون نحو التأخر أو يولد صراع، وتفكك اجتماعي ولهذا حصرنا أسباب التغيير فيما يلي:

1 غ.م: ليلة الدخلة، جريدة الشروق العربي، العدد 72، الجزائري 1993، ص13.

2 - محمد عاطف غيث "دراسات في علم الاجتماع التطبيقي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 43.

3 - نفس المرجع، ص106.

- البيئة الجغرافية تلعب دورا هاما في حدوث التغيير خاصة إذا خضعت هذه البيئة إلى عدة مشاريع تنموية.
 - ازدياد عدد السكان يستلزم حتما زيادة في عدد السكان، أي يصبح المجتمع السكاني كبيرا تظهر داخله اختلافات وإيديولوجيات وحتى شتى أنواع التقاهم، كل هذا يتطلب إيجاد سياسات جديدة لتعايش السلمي بين السكان ومحارة النزاع والتفكك الاجتماعي. أي كما يرفه بارسونز من مجتمع ستاتيكي إلى مجتمع ديناميكي.
 - التغيرات التكنولوجية هي عامل من عوامل التغير المنزلي، الاجتماعي، دخلت التكنولوجيا على بيوتنا نورت عقولنا وزادت في حركة سهولة الاتصال وأصبح الفهم اليوم يسير على الجميع مما سهل كذلك سهولة الاتصال أي مثلا: قلت زيارات العائلة لبعضها البعض، بسبب حدوث اتصال بينهم عبر النقال أو الرسائل القصيرة.
 - الانتشار الحضري لعب دورا هاما وجدّي في تغير حيث لاحظنا اختفاء نسبي للمناطق الريفية وتوحيثها بسكنات عمرانية حديثة، شيدت على مختلف الموديلات الحديثة للسكن.
 - الفلسفة والدين وتدخلها في تفسير كل شيء يحدث في اليومي، أي لكل تصرف يحدث للإنسان يكون نتاج تغيرات حديثة وجديدة تحدث اليوم، كارتداء حجاب المودة راجع إلى التقليد الأعمى للمنشطات الجميلات التي يقدمن برامج الأخبار في القنوات العربية العالمية وتغير أسماء الأطفال حسب أسماء أبطال المسلسلات التركية، والابن يعجز عن زيارة أبيه، ويتصل به عبر النقال وإن لم يشأ أن يتحدث يبعث له رسالة SMS فقط.
- لا يبقى المجتمع ثابتا مهما كانت الدرجة التنظيمية عالية، فالتغير في المجتمعات يهزم الاستقرار وأمنه وتطوره دائما، بل قد يكون إيجابيا وعلى درجة كبيرة من الازدهار، فربما لا يوجد مجتمع خال من الثورات أو المشاكل، والتي تساهم بقدر كبير في تغيير بعض الأنظمة، كما أن التطور الذي يدخل داخل المجتمع قد يؤدي إلى إحداث كبير في تغير والتغيير الاجتماعي يتغذى من التناقضات المختلفة التي تكون داخل المجتمع، فإن دخلت قيم جديدة في الصراع مع القيم القديمة الموجودة في المجتمع، ويصبح هناك فريق يريد تبنيها وفريق آخر يرفضها "محرك التغيير صراع الطبقات النزاع بين المجموعات تسعى إلى التغيير والتجديد ومجموعات أخرى متمسكة بالماضي ويبقى التناقض بين قوى الإنتاج والنماذج الثقافية."⁴
- عوامل التغير الاجتماعي وأثرها في تحرر الفتاة في الأسرة الجزائرية**
- عرف المجتمع الجزائري عدة تغيرات أثرت على الأسر بشكل خاص كونها النواة الأولى أو الخلية الأساسية في بناء أي مجتمع كان، وقد حدث تغير في الأسرة وفي المجتمع منذ الاستقلال إلى نهاية السبعينات، ومع بداية الثمانينات شهد المجتمع الجزائري تطورا وتحولات أسرية، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية ومهنية حديثة أثرت في سلوك اغلب عناصر بنائه الاجتماعي.⁵

4 - ريمون بودون وفرونسو بوريكو "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر 1986، ص 168.

5 - عبد الرحمن الوافي، في سيكولوجية الفرد والمجتمع، بوزريعة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (ب ت)، ص 16.

وتغيرت الأمور والتحقت الفتاة بالمدارس والثانويات والجامعات والمراكز المهنية والمؤسسات الاقتصادية، مما نتج عنه أن أتيحت لها فرصة الاتصال بالعلم الخارجي ومشاركتها الرجل في اقتصاديات المجتمع، أدى إلى تكوين علاقات اجتماعية ومهنية وأخرى عاطفية، خاصة وأن نظرة الأنثى إلى القيم والعادات والتقاليد والمكانة الاجتماعية التي كانت تحتلها سابقا في تبعيتها الدائمة للذكر، وشعورها بالقهر الاجتماعي تحت ظل الضوابط الاجتماعية التي كانت تفرض عليها، قد تبدلت مع ظهور التغيرات التي تعرض لها المجتمع الجزائري في وقتنا الحالي، خاصة من الناحية الاجتماعية لما لهذه الأخيرة من ميزة أساسية، واتساع النسق الاقتصادي من خلال التصنيع الذي رفع من المستوى المعيشي للفرد، فمن جهة كان لاقتحام المرأة لميدان العمل "ضرورة ملحة لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومطلبا أساسيا لتحقيق إنسانية المرأة بعد أن كان عملها الوحيد ينحصر داخل المنزل وفي حدود مرسومة"⁶.

ومن جهة أخرى كان من نتائج خروج المرأة للعمل وحصولها على فرص للتحرر النسبي من سيطرة الرجل، ويعني هذا إضعاف لسلطته التي كان يمارسها بناءً على الدور الاقتصادي الذي كان يقوم بها، وبالتالي اقتحمت واشتغلت في مختلف المهن المتخصصة، وأصبحت تنافس وتشارك الرجل في كل ميادين وأماكن العمل، مما أثر على وضعها ومكانتها في المجتمع حيث أعطاهما نمطا من الاستقلال والحرية لم تكن تتمتع بها من قبل، الأمر الذي جعل حقوقها وامتيازاتها تمتد على مجالات عديدة، كالتعليم والأنشطة الرياضية ومختلف المراكز من أجل تعزيز مكانتها الاجتماعية، إلى جانب نوعية التربية الجنسية التي تلقفتها عبر المؤسسات التعليمية وعبر وسائل الإعلام والتحاقها بميدان العمل أكسبها أنماط جديدة من السلوك وهذا يتضح في العوامل التالية:

1 - المرأة وخروجها إلى العمل: لعب التغير الاجتماعي دور كبير في تحرر المرأة فقد ساهم في

خروجها لميدان التعليم والعمل ومساهمتها بقدر كبير في التنمية الاقتصادية، نتيجة للضرورة والأهمية التي تملكها المرأة في مجال تطوير الميزانية الاقتصادية لبلاد في جميع المجالات.

"إنها بمثابة إقرار واضح بنهاية معاناة المرأة من التمييز الجنسي، فهي أيضا كمواطنة تتوفر على حق التعليم والعمل"⁷، وبالتالي وجدت حرية أكبر بخروجها من المنزل ودخولها الحياة العملية والعلمية، نظرا لان المرأة المتعلمة تلعب دورا بالغ الأهمية في الأسرة والمجتمع، لان وظيفتها تختلف عن وظيفة المرأة غير المتعلمة، ذلك لأن مجال التعلم يكسبها ويزودها خبرة ومهارة ويسهل لها شق طريقها في الحياة، كما يساعدها هذا التحرر الذي وصلت إليه في إبداء رأيها في الأمور المتعلقة في الاختيار للزواج يعني يظهر أسلوبها الذاتي أي الخصائص الواجب توفرها في الشخص الذي تتزوج به، فتسعى إلى تكوين أسرة وإنجاب الأبناء وتربيتهم تربية واعية، ومساعدة زوجها في التكاليف المالية، وبالتالي فدورها يصبح لا يقل أهمية عن دور الرجل، فخروج المرأة من البيت سمح لها بان تجاوز شبكة العلاقات الاجتماعية الضيقة وأبعدها عن

6 - علي شلق وآخرون، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (1986) ص 08.

7 - فاطمة المريني، السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأس مالي تبعي، دار الحدائق للطباعة والنشر، ط 1، لبنان 1982، ص 77.

عزلتها، يضاف إلى ذلك مدى تأثير تعلم المرأة في القيم والعادات السائدة، "إذ يجعلها أكثر مرونة لتقبل أنماط جديدة من السلوك"⁸.

فقد ألحت المرأة على اقتحام سوق الشغل الذي كان خاصا بالرجال، وأصبحت تعمل إلى جانب الرجل، ولم يعد هناك عائق يمنعها في طموحها للمشاركة في الميادين المختلفة، "إن التغيرات الاقتصادية من جهة، وكذلك المستوى التعليمي المرتفع باستمرار من جهة أخرى، قد شجع النساء على أن يصبح منافسات حقيقيات للرجال في سوق العمل"⁹.

وهكذا فقد ساهمت الحرية الاقتصادية والمالية، في تمكين المرأة أخذ القرارات خصوصا التي تتعلق بها، "الناس يظهرون عامة الاقتناع بأن التنقيف يفتح الباب لعالم جديد"¹⁰، فالمرأة المسؤولة أو المتعلمة تعتبر مسؤولة عن نفسها، خصوصا مع الاستقلال المالي، خاصة وأن البنية الاقتصادية للأسرة عرفت تحولات تضاءلت معها السلطة الأبوية، واختلاطها في ميدان العمل تسبب في عقد الكثير من العلاقات العاطفية التي تطورت في مفهومها السلبي إلى علاقات جنسية غير مشروعة.

وبالتالي مكن القول بأن التغير الاجتماعي الذي حدث رغم بعض إيجابياته، إلا أنه نجم عنه تصدع في النسق الاجتماعي، وضعف جوهري في الضوابط الاجتماعية والرقابة العائلية، حيث ظهر شكل جديد من العلاقات، ونعني بهذا علاقة جنسية غير شرعية مع الجنس الآخر، وكان هذا بفضل التحرر الذي أصاب بعض الفتيات نتيجة الفهم الخاطئ لمفهوم التحرر، ومنها تولد صراعا بين الأجيال الذي امتد بدوره على صراع بين القيم.

2 - التربية الجنسية عبر المؤسسات التعليمية: يعتبر الطابع التعليمي في الجزائر الأساس في

تكوين المرأة، فتعلم الفتيات في الجزائر عنصر هام في سياق تحول وضعية المرأة في الجزائر، "فالتعليم هو أحد الشروط الأساسية في الديناميكية الثقافية التي تحدث وسط الإناث"¹¹.

فلا يعتبر التعليم مجرد تسلية وإنما بمثابة عنصر وتحرر وعامل ارتقاء وتفتح على العالم الخارجي، فتعليم المرأة الجزائرية في البداية لم يكن محبذا من طرف المجتمع الجزائري التقليدي، والدليل يتمثل في وجود الأقلية من النساء، ففي الفترة الاستعمارية ورغم افتتاح أربعة مدارس، سنة 1850، إلا أن الجزائريين امتنعوا عن إرسال بناتهم إلى تلك المدارس، ففي اعتقادهم "أن البرامج المقدمة من طرف تلك المدارس غرضها غرس الثقافة الغربية، مما أدى إلى تأخر الفتيات بالمدارس الحديثة"¹². فالتعليم ساهم في حياة المرأة وجعلها فردا إيجابيا للعائلة الجزائرية وكذا جميع المجتمعات، فلقد تمكنت الفتيات المتعلمات من اكتساب مناصب عمل راقية، والاستجابة إلى احتياجاتها الاجتماعية والاقتصادية، وأن تمارس نشاطات يعتبرنها مخصصة

8 - حسن محمود، مشكلات المرأة العربية في التعليم والعلم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1984، ص 08.

9 - فاطمة المرينسي، مرجع سابق ذكره، ص 08.

10 - Ben Souna Nadia, Contribution a l'étude du profil psychosociologique de la mère célibataire en Algérie, Mémoire de maitrise D.E.A. de psychologique, Aix en Provence, France 1974, non publier, P19-20-21.

11 - Benoune Mahmoud, Les Algériennes victimes d'une société néo patriarcale, Alger, éd Marimo 1990, p63.

12 - بنون محفوظ، مرجع سابق، ص 63.

للرجال، "فلقد تمكنت من كسر الطابوهات في المجتمع"¹³، ولكن لمعرفة دور الفتاة في المجتمع إذا كان إيجابياً أو سلبياً، يقتضي منا معرفة مساهمة العائلة والمؤسسات الاجتماعية والتربوية المختلفة، مهمة تربية الأطفال تربية جنسية سليمة، "فالتربية الجنسية في الواقع ليست أمراً يقوم به شخص معين، وتقع المسؤولية عليه وحده، وإنما هي مرحلة متكاملة، يساهم كل منها في هذا المجال تسمح له قدراته ومعلوماته واستعداداته التربوية، ولا بد من تعاون كامل وأزر إيجابي فعال بين المدرسة والمنزل في سبيل توجيه الطفل توجيهها سليماً كاملاً.

ومن المهم أن نعرف الأهمية التي يجب إعطاؤها للشباب لإكسابهم وتنقيفهم جنسياً، حيث أن "عدم تعليم الشباب أي شيء عن الجنس، وأن يتوقع منهم أن يعلموا كل شيء عن الجنس، وهو من أسباب ارتفاع نسبة الحمل"¹⁴، إذ تعد الأسرة المحيط الأول الذي ينشأ ويتربص فيه الطفل، وهي تلعب دوراً كبيراً في عملية التنشئة الاجتماعية، لتحضير الطفل للحياة المستقبلية، "فلو أن الطفل تلقى التربية الجنسية في المدرسة دون أن يتلقاها من والديه، فقد يؤدي هذا الأمر إلى صراع بينه وبين أسرته، إلا أن الوالدين المتفتحين سابقاً للمناقضة والوعي بخصوص الجنس المتعلق بهذه النقطة وضعا نادراً"¹⁵ إلا أن الأسرة ليست المسؤولة الوحيدة تربية الأبناء، بل تساهم في هذه العملية العديد من الوسائل التربوية، كالمدرسة التي ينقل إليها الطفل في مرحلة مبكرة من حياته، "فإذا كانت المدرسة تعد الأجيال من أجل الحياة، فغن المشكلات الجنسية أجزاء من الحياة، بل هي من أجل الحياة، وهكذا وحتى لا تصبح هذه المشكلة من الأسباب المباشرة التي تؤدي إلى أشكال من العقد والكبت حيث تجلب الكثير من الأمراض النفسية والانحرافات لشبابنا، وعندئذ تمنعهم إمكاناتهم الإنتاجية والإبداعية"¹⁶.

فالشباب أو الفتاة في المجتمع الجزائري لا يجد إجابات على تساؤلاتهم، فهم لا يستطيعون الكلام في مواضيع الجنس أمام الأهل أو سؤال الأب أو الم، بداع الحرج أو أنها تعتبر عيباً، وهذا ما طبع عليه الشاب منذ طفولته، فالأسرة الجزائرية تعتبر أن مهمتها الحقيقية في تربية الأطفال على الاحترام، الحياء، التقيد بالتقاليد والعادات والابتعاد عم كل ما هو مفسد للأخلاق، وخارج عن نطاق القيم السادة في المجتمع، دون الخوض في الأمور الجنسية التي تهم الطفل، خصوصاً أثناء نموه، وهكذا يبدأ إهمال المجتمع للتربية الجنسية، بدءاً بالأسرة وانتقالاً إلى المدرسة التي لا تخصص حيزاً أو مقرراً دراسياً في الطور المتوسط أو الثانوي، باعتبار أن الطفل يكون في ملحة المراهقة والانتقال إلى مرحلة الرشد، كذلك هو الحال بالنسبة على المؤسسات الاجتماعية الأخرى، كالمساجد، وسائل الإعلام والاتصال... الخ.

هذا ما ينتج عنه مشاكل وآفات لا حصر لها، وانتشار عادات وسلوكات سيئة، خارجة عن قيم وعادات المجتمع الجزائري، ورغم ذلك فالمجتمع ينفرد من هذه الآفات ويعاقب عليها سواء بطريقة مباشرة أو

13 - عبد القادر جغلون وآخرون، المرأة الجزائرية، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت 1983، ص 79.

14 - حق أحمد، الزواج المبكر وحمل المراهقات، مجلة صندوق الأمم المتحدة للسكان، 1997، ص 68.

15 - عصام الناظر، الحاجة إلى تربية جنسية، ترجمة محمد دريكي حيلوني، شارع مسلم البارودي، دمشق (ب ت)، ص 13.

16 - نفس المرجع، ص 13.

غير مباشرة، رغم انه كان من الممكن الحد منها بتربية شبابنا وأطفالنا وتزويدهم بما يحتاجون إليه من معلومات وحقائق عن موضوع الجنس، "إذن التربية الجنسية هي ضرورة أساسية تبدأ من البيت، وتتم في المدرسة، وتستمر مدى الحياة، ولقد حان الوقت كي تتبناها المجتمعات الإسلامية بما يتفق مع قيم مجتمعاتنا الإسلامية وتقاليدنا"¹⁷.

3 - **التربية الجنسية والإعلام:** إلى جانب تأثير ميدان التعليم على حرية المرأة، فإنه يبرز مجال آخر للتححرر، وهو الدور الذي تلعبه دور وسائل الإعلام بشتى أنواعها وتأثيراتها المباشرة على الحياة الاجتماعية للفتاة، نظرا لما تعرفه وسائل الإعلام من تجديد وتغير مستمرين، ونقصد على وجه الخصوص وسائل الإعلام السمعية البصرية من هوائيات مقعرة وأشرطة فيديو ومواقع للانترنت...، في مجتمعنا الذي أصبح يقلد ويأخذ بثقافة الغرب من أفكار ومظاهر سلوكية، فعن طريق ما تعرضه هذه الوسائل من إغراء ومثيرات فقد استطاعت أن ترسخ فكرة التحرر من كل القيود والمعايير الاجتماعية والآداب الأخلاقية، فهناك بعض الفتيات لم تع مفهوم التحرر وربطته بالجنس، ومن هنا فقد أصبحت الفتاة تتصرف بأهوائها وتطبعت بعادات ومواقف غير عادات مجتمعنا مخلة بالشرف والعفة، وهذا ما جعلها تقع في الخطأ وتتخبط في مشاكل جنسية، لا أخلاقية وبالتالي فقدان العذرية بطريقة غير شرعية، مستعملات في حياتهم أساليب التفكير الغربي وعاداته¹⁸.

ولوسائل الإعلام على اختلافها دور حاسم في الجهد العام الذي يبذله المجتمع لدفع خطر الانحراف والانقياد نحو النوازع العدوانية والتمرد على القوانين والقيم العامة التي يؤمن بها المجتمع، بوصفها الآليات التي تنظم شؤونه العامة وعلاقات الأفراد ببعضهم¹⁹.

إن هذا الأسلوب في تنظيم شؤون أطفالنا هو تهديد لمستقبل الأجيال ومصادرة لقدراتها على صنع مستقبلها وفق منظور علمي أفضل يقوم على تقديس العلم والتعليم وتشجيع الإبداع الفكري، ووضع العقل في مكانة رائدة في أي مجال، فالكثير من العقول العربية ما تزال تعشش فيها جذور انحرافه والخمول وتحكمها عصبية تجاوزتها المجتمعات الغربية بقرون²⁰.

وهكذا انطلق الشباب في البحث عن الاستقلالية والعيش بنمط جديد، وعلى طريقة مستحدثة، "إن ما نراه في الحياة، وفي وسائل الإعلام قد يوحي بأفعال جنسية جديدة، ويجعلنا نشعر بان لدينا مزيدا من الحرية للتعبير عن الممارسات الجنسية التي تم تعلمها بالفعل أو تقوي السلوك الجنسي القائم"²¹.

مما لا شك فيه أن انتشار الإباحة الجنسية أو السلوكات اللاأخلاقية والخارجة عن المجتمع، عدة أسباب من بينها:

17 - سلامي فاطمة، مرجع سابق، ص 134.

18 - عبد الرحمن الوافي، مرجع سابق، ص 16.

19 - سلامي فاطمة، مرجع سابق، ص 133.

20 - سلامي فاطمة، مرجع سابق، ص 140.

21 - لندال دافيدوف، مدخل علم النفس، ترجمة سيد طواب وآخرون، المكتبة العربية بالتعاون مع دار النشر بالرياض، ط 2، القاهرة 1983، ص 462.

1- ضعف القيم الدينية والكوابح الاجتماعية...، مع سهولة حصول المراهقين على الكتب والمنشورات والأفلام الجنسية.

2- ازدياد حرية المرأة ومساواتها بالرجل في جميع النشاطات.

3- شيوع تعاطي المخدرات عند المراهقين.

4- ضعف الروابط العائلية، وانشغال الآباء عن مصادقة أولادهم وابتعادهم عنهم.

كل هذه الأسباب تؤدي إلى بروز مشاكل اجتماعية أكثر حدة، لذا فعلى المجتمع مسؤولية وقاية هؤلاء الشباب من الوقوع في الانحراف، وذلك بالمساهمة في تربية وتوعية الأجيال من أجل احترام المجتمع وقيمه، لا بإهمال الشباب وتجاهل ومشكلاته، ثم لومه على أشياء ربما لم يكن يفعلها إذا ما تلقى رعاية مناسبة، "ثمة أسباب واضحة من أجلها يكون الانشغال الجنسي قبل الأوان ضارا للناشئين، ولكن التربية الجنسية صالحة تساعد الناشئين على الصمود أمام العوامل المعارضة والموجودة في المجتمع والتي تؤدي إلى الانشغال الجنسي قبل الأوان"²².

كما أن هناك وسائل عدة تستعمل ضد الشباب لتكون بمثابة حافز ينمي الدافع الجنسي، "وهم يستخدمون الإعلانات العارية والفاضة والضاربة عرض الحائط بكل القيم الدينية والأخلاقية، وهذا أمر منطقي لأنهم يحتاجون إلى الكبت الجنسي الناتج عن هذه القيم، من أجل أن يصرفوه من خلال تصريف البضائع"²³.

إن السؤال الذي يتعين طرحه ونحن نروج لأفلام العنف والإثراء الفاحش دون بذل أي جهد ونمجد بطريقة أو باخرة التمرد على القوانين والعادات الطيبة.

التساؤل إذن أمام هذه القيم المطلوبة هو أي جيل نحن سوف نكون، وأي مستقبل ينتظرنا؟

من المعلوم أن الطفل هو كما قيل صفحة بيضاء نكتب عليها ما نشاء، فغن زرعنا بذور العنف والجريمة فلنستعد لبناء المزيد من السجون، وإذا زرعنا روح المسؤولية والالتزام والانضباط، وغيرهم من القيم الخيرة، فيحق لنا وقتئذ أن نفكر في بناء المزيد من المصانع والمعاهد والجامعات، وهكذا تبدأ الحاجة ملحة لوضع سياسة إعلامية مدروسة، تقوم على دعائم تربوية ونفسية وتنقيفية تتماشى ومستلزمات العصر، وتغذي في نفس الوقت الرغبة في الحفاظ على الأصالة لدى الأجيال، ولابد لهذه السياسة الإعلامية أن ترعى المبادئ الأساسية التالية:

- أ - الالتزام بالقيم الحضارية العربية الإسلامية.
- ب - مراعاة التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل في كافة المجالات.
- ج - الاهتمام بالتنوع الثقافي الذي تزخر به المجتمعات العربية بحيث تكون رافدا من روافد البناء لا عاملا من عوامل الصراع الثقافي.

22 - عصام ناظر، مرجع سابق، ص 13.

23 - نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص 49.

د - تخصيص حيز مناسب لتربية الطفل وتغذية فكره وعقله وفق أسلوب علمي صحيح، لا مكانة فيه للخيال المفرط أو الخرافة البالية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ومن ناحية التنشئة الاجتماعية، فغنها ترسخ القيم الموروثة، أما القيم الجديدة فلا تستوعبها.

وهذا يصدق على مؤسسات التنشئة الاجتماعية كافة، بحيث تبقى القيم هي الأصل والجديد هو الطارئ، أما النتيجة المأساوية فهي انعدام الإبداع في حياتنا والتمسك بالماضي على حساب الحاضر، ويتعزز هذا الاتجاه في سائر مؤسسات التنشئة الاجتماعية خصوصا الإعلام ووسائل الثقافة الرخيصة من المجالات التي تساهم في تزييف وعي المرأة.

عن ما تتفقه المرأة على المجالات يعادل أضعاف ما تتفقه على الكتب²⁴ خاصة منها الآتية من البلدان الأوروبية، فهي على صفحاتها صور خليعة لنساء عاريات.. الخ، ولتك المجالات عند تناولها لموضوع الجنس تتناوله حسب ثقافة مجتمعهم الغربي ودينهم، وهذا ما جعل شبابنا ينتقي هذه المجالات ويتأثر بثقافة الغرب.

بعدها تطرقنا لوسائل الإعلام المكتوبة، لا بد من الإشارة إلى وسائل الإعلام المرئية، والتي لها تأثير مباشرة وكبير.

إن التلفة الجزائرية لم تقم بدورها في الوعي والتربية الجنسية للشباب، فنرى أن هناك تقصير كبير في مجال الجنس ولا تتطرق إلى موضوع الجنس لأنها تعتبره من الطابوهات، وكما أن اتجاه معظم الشباب إلى القنوات الأجنبية عن طريق الهوائيات المقرة "Les Parabols"، استطاع شبابنا وشاباتنا من الإطلاع على مختلف مواضع الجنس التي تتناقض مع ديننا وقيم مجتمعنا، وجعل من ممارسة الجنس في غير العلاقات الشرعية بعيدا عن الرقابة الأسرية، وهذا من الأهداف التي ترمي إليها المجتمعات الرأسمالية في تحطيم الأسرة من خلال تحطيم المرأة وفصلها عن كل القيم والإعلان عن الحرية الجنسية ومن ثم الدخول في عالم اللاقيم واللامعيارية، فقد أصبحت الفتاة تتعرض من الحين والآخر إلى القصف الجنسي بإرادتها أو عن طريق الاعتداءات الجنسية في جميع الأماكن، فالظروف الجديدة هذه أدت إلى اختلال التوازن في المجتمع الجزائري، فقد أصبح يعرف مجموعة من الظواهر والسلوكيات الدخيلة والمفروضة كلية من الخارج، كغيره من المجتمعات الأوروبية من ممارسة الجنس بالطرق غير المشروعة الذي ينتج عنه فقداننا لعذرية الفتاة وبالتالي ظهور الحمل فير الشرعي، وبالتالي أطفالا غير شرعيين الذي بدوره أدى إلى ظهور فئة فتيات أمهات وفئة الأمهات العازبات.

تمثل القيم والعادات والتقاليد عاملا فعالا في تنظيم حياة المجتمع، وتنقل هذه الأخيرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، بحيث يتوارثها الأجيال ويحافظ عليها باعتبارها التراث الاجتماعي والثقافي، والفتاة كعنصر من أعضاء المجتمع، يتوقف نمو شخصيتها على العادات والتقاليد والقيم، وأهداف الحياة التي يتميز بها المحيط الثقافي الذي تعيش فيه، وتمارس في إطاره علاقاتها، أي أن الأنماط الثقافية هي التي تحكم الفتاة

وتمارس سلطتها وتأثيرها على شخصيتها وسلوكها، بحيث أن سلوك الفتاة لا يتحدد برغبتها، بل وفق معايير المجتمع، وتعين لها ما هو مسموح وما هو محرم الذي يخرج عن إطار سلم القيم والمعايير الاجتماعية. ومن أهم ما يحافظ المجتمع عليه هو شرف الفتاة والمتمثل في عذريتها، بحيث أن هذه الأخيرة مرتبطة بالشرف والعرض وهما قيمتان ذات دلالة حاسمة في الحياة الاجتماعية والمستقبلية للفتاة. فالعذرية موضوع مقدس في مجتمعنا مثله مثل المجتمعات العربية الإسلامية، عكس بعض المجتمعات الغربية، وفقدانها يعني تعدي على العائلة. ولقداسة العذرية فقد ارتبط موضوع الجنس في مجتمعنا بالطابو "Tabou" إذ حُرِّم سماعه ومناقشته، ورغم التغير الاجتماعي الذي مس كل جوانب الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، إلا أن موضوع الجنس بقي مرتبطاً بالمحرمات، باعتبار أن ثقافة الجنس غير معمول بها في مجتمعنا، ويقل رصيدها عند كبار السن، إذ يجدوا أنهم عاجزين عن إرشاد الفتاة إلى حياة جنسية متوافقة، لأن المجتمع عبر مؤسساته التنشئية، وفي ضوء قواعده الأخلاقية يجعل الفتاة تحرص على عدم خرقها.

الخاتمة:

إنّ تغير وضع الفتاة نوعا ما بعد حصولها على فرض التعليم والعمل، وكذلك الاحتكاك بوسائل الإعلام، وذلك دور الجمعيات النسوية ساهم في تحررها، وهذا ما دفع بها إلى القضاء على بعض الحواجز الاجتماعية التقليدية مما أدى بها إلى استقلالها اقتصاديا وأصبحت تعتمد على نفسها، وتتنوع علاقاتها وغيّرت في بعض العادات والتقاليد والقيم، وأصبحت تطالب بمساواتها مع الرجل، مما نتج عنه أنها أثناء اتصالها بالعالم الخارجي وبتحررها عرفت علاقات اجتماعية متعددة، وخاصة من الجنس الآخر، حيث دخلت معه في علاقات عاطفية باعتبار أن هذه العلاقات خارجة عن نطاق القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والعائلية، مما سبب خطرا حقيقيا يتمثل في عدم محافظتها على نقائها الأخلاقي والجسدي، وحيث فقدت عذريتها التي تمثل ضرورة في حياتها الاجتماعية والمستقبلية والذي نتج عنه الكثير من فئة الأطفال غير الشرعيين في مجتمعنا.

بيبليوغرافيا:

المراجع باللغة العربية:

- محمد عاطف غيث "دراسات في علم الاجتماع التطبيقي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ريمون بودون وفرونسوا بوريكو "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر 1986.
- عبد الرحمن الوافي، في سيكولوجية الفرد والمجتمع، بوزريعة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (ب ت).
- علي شلق وآخرون، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (1986).
- فاطمة المرنيسي، السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأس مالي تبعي، دار الحدائث للطباعة والنشر، ط1، لبنان 1982.
- حسن محمود، مشكلات المرأة العربية في التعليم والعلم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1984.
- فاطمة المرنيسي،
- بنون محفوظ،
- عبد القادر جغلول وآخرون، المرأة الجزائرية، ترجمة سليم قسطون، دار الحدائث للطباعة والنشر، ط 1، بيروت 1983، ص79.
- حق أحمد، الزواج المبكر وحمل المراهقات، مجلة صندوق الأمم المتحدة للسكان، 1997.
- عصام الناظر، الحاجة إلى تربية جنسية، ترجمة محمد دريبيكي حيلوني، شارع مسلم البارودي، دمشق (ب ت).
- سلامي فاطمة، ، .
- عبد الرحمن الوافي، ، .
- لندال دافيدوف، مدخل علم النفس، ترجمة سيد طواب وآخرون، المكتبة العربية بالتعاون مع دار النشر بالرياض، ط. 2، القاهرة 1983.
- نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990.

المقالات:

- غ.م: ليلة الدخلة، جريدة الشروق العربي، العدد 72، الجزائري 1993.

المراجع باللغة الفرنسية:

- 1 - Ben Souna Nadia, Contribution a l'étude du profil psychosociologique de la mère célibataire en Algérie, Mémoire de maitrise D.E.A. de psychologique, Aix en Provence, France 1974, non publier.
- 2 - Benoune Mahmoud, Les Algériennes victimes d'une société néo patriarcale, Alger, éd Marimo 1990.